

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين سيمـا خليفة الله في الأرضـين، ولـلـعنـة الدائـمة الأبدـية عـلـى أعدـائهمـ أـجـمـعـينـ، ولا حول ولا قـرـة إلاـ بالـلهـ العـلـيـ العـظـيمـ

مبادئ الاستنباط

منتخب من روايات المعارض

خمسة معانٍ لـ(الحقيقة):

قوله (عليه السلام) (إن لكل حق حقيقة)

وموجـز فـقـهـ الـحـدـيـثـ: إنـ (ـالـحـقـيـقـةـ)ـ لهاـ معـانـيـ عـدـيـدةـ:

١- جوهر الشيء ولبّه

فـمـنـ مـعـانـيـهاـ: جـوـهـرـ الشـيـءـ وـلـبـهـ، وـقـدـ سـبـقـ

٢- مرجعه ومآلـه

وـمـنـهـاـ: مـرـجـعـهـ وـمـآلـهـ، فـحـقـيـقـةـ الشـيـءـ أـيـ ماـ يـرـجـعـ إـلـيـهـ.. وـتـوـضـحـهـ الـأـمـثـلـةـ التـالـيـةـ:

- القـولـ بـاـنـ حـقـيـقـةـ وـجـوـبـ إـقـامـةـ الـحـدـودـ هـوـ وـلـاـيـةـ الإـلـامـ (ـعـلـيـهـ السـلـامـ)ـ ثـمـ وـلـاـيـةـ الـفـقـيـهـ عـلـىـ القـوـلـ بـهـاـ، أـيـ أـنـ مـرـجـعـ هـذـاـ إـلـىـ ذـاكـ.

- قولـكـ لـلـخـصـمـ: اـنـ حـقـيـقـةـ كـلـامـكـ هـيـ إـذـعـانـ بـمـدـعـاـيـ وـكـلـامـيـ مـثـلاـ قولـكـ لـمـ حـادـلـكـ فـيـ وـجـوـدـ الـبـارـئـ بـدـعـوـيـ اـنـ المـادـةـ الـأـوـلـيـةـ هـيـ الـخـالـقـ لـلـكـونـ: بـاـنـ حـقـيـقـةـ كـلـامـكـ هـيـ إـلـاـذـعـانـ بـوـجـوـدـ اللـهـ لـكـنـ نـقـاشـكـ فـيـ الـمـصـدـاقـ فـقـطـ^(١)ـ أـيـ مـرـجـعـ كـلـامـكـ إـلـىـ إـلـاـذـعـانـ.

- قولـ بـعـضـ الـفـقـهـاءـ فـيـمـاـ نـسـبـ إـلـيـهـ، اـنـ حـقـيـقـةـ اـشـتـرـاطـ إـذـنـ الـرـوـجـ فـيـ خـرـوجـ الـزـوـجـةـ هـوـ (ـحـقـ الـفـراـشـ)ـ معـنـيـ اـنـهـ لـيـسـ لـهـ عـلـيـهـ حـقـانـ بـلـ لـهـ حـقـ الـفـراـشـ فـقـطـ، وـالـاستـنـدـانـ فـيـ الـخـرـوجـ طـرـيقـيـ أـيـ كـيـ لـاـ يـجـلـ بـحـقـ الـفـراـشـ فـلـوـ لـمـ يـخـلـ فـلـهـاـ الـخـرـوجـ دـوـنـ إـذـنـهـ عـلـىـ هـذـاـ الرـأـيـ – وـهـوـ مـخـالـفـ لـلـمـشـهـورـ كـمـاـ لـيـخـفـيـ. فـقـولـهـ حـقـيـقـةـ اـشـتـرـاطـ إـذـنـ...ـ يـعـنـيـ اـنـ مـرـجـعـهـ إـلـىـ حـقـ الـاسـتـفـارـاشـ.

٣- ما به الشيء هو هو في ذاته أو تشخصه

وـمـنـهـاـ: ماـ بـهـ الشـيـءـ هـوـ هـوـ فـيـ ذـاتـهـ، أـوـ ماـ بـهـ الشـيـءـ هـوـ هـوـ فـيـ تـحـقـيقـهـ وـتـشـخـصـهـ، وـالـأـوـلـ عـلـىـ مـبـنـيـ أـصـالـةـ الـمـاهـيـةـ وـالـثـانـيـ عـلـىـ مـبـنـيـ أـصـالـةـ الـوـجـوـدـ^(٢)ـ فـمـثـلاـ: الصـلاـةـ حـقـيـقـتـهاـ الـأـرـكـانـ لـاـ سـائـرـ الـأـجـزـاءـ وـلـذـاـ لـوـ تـرـكـهاـ حـتـىـ لـوـ كـانـ سـهـوـاـ أـوـ نـسـيـاـنـاـ بـطـلـتـ، فـعـلـىـ هـذـاـ يـكـوـنـ الـمـرـادـ مـنـ (ـلـكـلـ حـقـ حـقـيـقـةـ)ـ أـيـ لـكـلـ حـقـ مـاـ بـهـ هـوـ أـيـ جـنـسـهـ وـفـصـلـهـ أـوـ مـاـ بـهـ تـشـخـصـهـ.

٤- ما يقابل الريف

وـمـنـهـاـ: الـحـقـيـقـةـ فـيـ مـقـابـلـ الـرـيفـ، فـيـكـوـنـ الـمـرـادـ مـنـ (ـلـكـلـ حـقـ حـقـيـقـةـ)ـ أـيـ لـكـلـ أـمـرـ مـنـ عـالـمـ الـثـبـوتـ حـقـيـقـةـ دـالـةـ عـلـيـهـ مـنـ عـالـمـ الـإـثـبـاتـ فـيـجـبـ الـبـحـثـ عـنـهـ أـيـ عـنـ الـأـدـلـةـ الـصـحـيـحـةـ لـاـ زـرـافـةـ أـوـ غـيرـ التـامـةـ، فـمـثـلاـ (ـالـقـيـاسـ)ـ وـ(ـالـاسـتـحـسـانـ)ـ لـيـسـ بـحـقـيـقـةـ فـلـاـ يـوـصـلـانـ لـلـحـقـ، فـهـمـاـ زـيفـ وـكـذـاـ الـاسـتـمـراءـ النـاقـصـ، بـلـ وـكـذـاـ الشـهـرـ لـوـ قـلـنـاـ بـعـدـ حـجـيـتهاـ وـعـدـ جـاـبـرـيـتهاـ وـعـدـ كـاسـرـيـتهاـ.

٥- ما يقابل المجاز

وـمـنـهـاـ: الـحـقـيـقـةـ فـيـ مـقـابـلـ الـمـجازـ، وـعـلـيـهـ يـجـبـ الـبـحـثـ عـنـ الـأـدـلـةـ الـتـيـ أـرـيدـ بـهـ مـعـانـيـهـ الـمـوـضـوعـ لـهـ لـاـ لـيـ أـرـيدـ بـهـ مـجاـزاـهـاـ وـلـمـ تـكـنـ بـظـاهـرـهـاـ مـرـادـهـ. بـلـ عـلـىـ الـأـخـرـيـنـ يـمـكـنـ تـعـيـمـ الـحـقـ لـلـعـالـمـ الـأـرـبـعـةـ: الـوـجـوـدـ الـعـيـنيـ وـالـذـهـبـيـ وـالـفـنـظـيـ وـالـكـتـبـيـ، وـلـكـلـ مـنـهـاـ حـقـيـقـةـ أـيـ دـالـ عـلـيـهـ، وـتـكـوـنـ دـلـالـةـ الـإـيمـاءـ وـالـتـبـيـهـ، وـدـلـالـةـ الـاقـضـاءـ وـغـيرـهـاـ مـنـهـاـ فـتـدـبـرـ حـيـداـ.

وـلـأـبـسـ بـنـقـلـ مـاـ قـالـهـ فـيـ الـفـروـقـ الـلـغـوـيـةـ: (ـالـحـقـيـقـةـ)ـ مـاـ وـضـعـ مـوـضـعـهـ فـيـ أـصـلـ الـلـغـةـ حـسـنـاـ كـانـ أـوـ قـبـيـحاـ وـالـحـقـ: مـاـ وـضـعـ مـوـضـعـهـ مـنـ الـحـكـمةـ فـلـاـ يـكـوـنـ إـلـاـ حـسـنـاـ

وـكـلـامـهـ يـنـطـيـقـ عـلـىـ الـعـنـيـنـ الـأـخـرـيـنـ.

وـعـلـيـهـ: فـ(ـالـحـقـيـقـةـ)ـ تـشـمـلـ الـحـسـنـ وـالـقـبـيـحـ فـالـأـوـلـ: كـالـصـلاـةـ وـالـصـدـقـ وـالـثـانـيـ كـالـسـرـقةـ وـالـكـذـبـ، حـقـيـقـةـ لـكـنـهـمـاـ لـيـسـ بـحـقـ بـلـ هـمـاـ

(١) فـانـتـ تـقـولـ: الـمـادـةـ الـأـوـلـيـةـ، وـنـخـنـ نـقـولـ: الـواـحـدـ الـمـحـرـدـ..ـ اـلـخـ، فـلـنـاقـشـ فـيـ الـمـصـدـاقـ إـذـنـ، بـعـدـ قـوـلـكـ أـصـلـ وـجـوـدـ الـمـشـأـ أوـ الـخـالـقـ. وـهـنـاـ نـقـاشـهـ بـاـنـ الـمـادـةـ الـأـوـلـيـةـ لـاـ يـعـقـلـ اـنـ تـكـوـنـ هـيـ الـمـصـدـرـ الـأـوـلـ لـلـخـلـقـةـ لـاـكـمـةـ وـمـخـتـاجـةـ..ـ اـلـخـ

(٢) وـمـثـالـ الـأـوـلـ قـوـلـكـ حـيـوانـ نـاطـقـ فـيـ جـوـابـ مـاـ إـلـاـنـ، فـاـنـ الـحـيـوانـ النـاطـقـ هـوـ حـقـيـقـةـ الـإـنـسـانـ عـلـىـ أـصـالـةـ الـمـاهـيـةـ كـمـاـ قـالـواـ.

باطل إذ أريد بالحقيقة اللفظ الم موضوع لمعنى، وأريد بالحق ما يقابل الباطل.

لكن تحصيشه بالقول لا وجه له بل تشمل الحقيقة مطلق المزير كإشارة مثلاً

واما (الحق) فله تفسيرات وتعريفات ومنها الحق قبل الباطل فالمراد به الثبوت بعراشه الأربعه. ومنها: الثابت الذي لا يسوغ إنكاره فيشمل العقائد والأقوال. ومنها: الموجود حقيقة لا توهماً. ومنها غير ذلك مما لا يهم تحقيقه الآن

قوله (عليه السلام) (ولكل صواب نوراً)

تحقيق المراد بالنور

أقول: تفید هذه الجملة من الروایة ان النور يدل على الصواب بالبرهان الإثبات فإذا أردت ان تعرف الصواب من ما نسب إليهم صلوات الله عليهم من الأقوال فاظر إلى ان له - أي لهذا الكلام المنقول - نوراً أم لا، لكن ما المراد بالنور؟

قد يقال: ان المراد هو معناه الأخص، ولا يبعد ذلك، بان يكون للكلام الصادق نور تراه العين البرزخية مثلاً واما الكلام الكاذب فليس له إلا الظلام - وقد فصلنا ذلك في بعض مباحثنا^(١)

وقد يقال: ان المراد به المعنى الأعم وهو (المنكشف بنفسه الكاشف لغيره) وحاصل المراد على هذا ان لكل صواب من أقوافهم نوراً أي كاشفاً عنه وهذا الكاشف هو الحجج الجليلة، والحجج الخفية وهي المعارض ولحن الكلام وشبهها فيجب البحث عنها والتعرف عليها^(٢).

من طرق روایة هذا النور

ثم ان من طرق التعرف على هذا النور هو الإحاطة بمجموع الآيات والروايات وتاريخ المقصومين (عليهم السلام)، فان بعضها يفسر بعضاً ويشرحه ويكون قرينة عليه، ويظهر ذلك بمحلاحة حال من يَفِدُ على قومٍ غرباء فانه سوف لا يفهم كثيراً من إشاراتهم ومعارضهم وغيرها إلا لو تعرّف على محمل عادتهم وتقاليدهم وتاريخهم و مختلف معارفهم وإلا لاختطاً كثيراً في فهم كنایة أو مجازٍ أو معارضٍ أو غير ذلك.

وثيقة هذا الخبر وسنته

واما سند هذا الحديث، فحيث انه مرفوع، فان قلنا بحجية مراسيل الثقة فالامر سهل، وإلا امكن الاطمئنان به (ووثاقته كخبر وروایة) عن طريق برهانية مطابقة مضمونه للأصول والقواعد، بل نقول: ان مطالبه من المستقلات العقلية دون ريب.

فتذير في المقاطع الثلاثة (حديث تدریه خیر من عشرة ترویه) لأن ما تدریه ينفعك دون ما ترویه من دون ان تدریه، وهذا بدینه فان من يدری ويعرف محتوى الدواء أو وصفة الأطباء هو من ينتفع بها وينفع غيره بها، دون من يحفظ ألفاظ الوصفة دون معرفة معناها ولا موارد استعمالها ولا فوائدها ولا ما يضادها مما لا تجتمع معه.. وهكذا

وكذلك الحال في (لكل حق حقيقة) (ولكل صواب نوراً) كما سبق بيانهما من ما يستقل العقل بصحته ويدركه المرء بوجданه لو التفت إلى معنى الكلام.

قوله (عليه السلام) (انا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً)

فقد روی الكشي قال: (قال الصادق (عليه السلام) اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من روايتهم عنا، فانا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً، فقيل له أويكون المؤمن محدثاً؟ قال يكون مفهماً، والمفهوم الحدث) وإنما سأل عن الحدثين، لورود روايات عديدة لدينا^(٣) بان الاوصياء محدثون. وبعض فقه هذا الحديث:

تحقيق معنى الفهم

١- ان الفهم غير العلم، فان الفهم هو ادراك خفي ودقيق فهو أخص من العلم مطلقاً ولذا قال تعالى: **فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلُّاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا** فان داود أيضاً أُوتى العلم لكن التفطن والفهم للأصلح بحال طرق التراع هو الذي أفهمه الله تعالى لسلیمان، مع كون حكم كلبيهما حقاً إذ كان كلام الحكمين صغرى العدل وإحقاقه إلا ان حكم سليمان كان الأرجح والأفضل من مصداقى العدل. وللحديث صلة وصلى الله على محمد وآلله الطاهرين

(١) وفي كتاب (الضوابط الكلية لضمان الإصابة في الأحكام العقلية).

(٢) ويحتمل في (لكل صواب نوراً) ان يكون المراد: ان الصواب له نور كاشف عن الحقائق فتدبر

(٣) بل ولدى العامة أيضاً.